مَن حكم قرية ذات كهل (الفاو)؟

عبدالرحمن الطيب الأنصاري
سالم بن أحمد طيران

ملخّص: من خلال تنقيباتنا الآثارية في قرية الفاو، استطعنا أن نحدّد المراحل التاريخية التي مرت بها قرية بين القرن الرابع ق.م والقرن الرابع الميلادي، إلا أن كثرة القبائل التي يبدو أنها عاشت في قرية؛ سواء المستقرة منها أوالطارئة، جعلتنا نحاول أن نربط بين المراحل التاريخية وبين هذا القبائل المستقرة. إن النصوص الجنوبية التي تتحدث عن قرية ذات كهل تجعل حكامها من كندة، وحدّدت أسماء بعض هؤلاء الحكام، وخاصة في مرحلة ما بعد الميلاد؛ ومنهم معاوية بن ربيعة، ملك قحطان ومذحج؛ ومذحج هو الاسم الذي ورد ضمن القبائل والأماكن التي مرّ بها امرؤ القيس في نقش النماره في طريقه إلى نجران؛ فهل كندة هو اسم أو لقب لقحطان في المنظور الجنوبي، فرض نفسه على اسم الدولة التي حكمت أولا في قرية، ثم في الشمال وانزوى اسم قحطان؟ أما القبائل الأخرى فلها وجود واضح، ولكن لا ندري أهو وجود سياسي أم وجود اقتصادي، فرضه موقع قرية بين الجنوب والشمال ؟!! تلك هي المشكلة.

Abstract: *Archaeological excavations in Qaryat al-Fau enabled us to map out the town's historical periods between the fourth century B.C. and the fourth century A.D. The fact that the town was frequented by many tribes (as permanent or impermanent settlers) led to our attempt to relate the historical periods to the corresponding settled tribes. Southern texts relating to Qaryat Ṯat Kehl assigned the rulers to the tribe of Kinda; especially during the A.D. periods, and even named some of them. One of those was Mo'awiya bin Rabi'ah, king of Qaḥṭan and Muṯḥeğ. As a name, Muṯḥeğ, however, appeared among the names of tribes and of places through which, according to al-Namarah inscription, Imru' al-Qais, travelled on his way to Najran. Now, would Kinda, to Southern standpoint, have been the name or title of Qaḥṭan and named the State that first ruled in Qaryat, then ruled in the North where the name Qaḥṭan ultimately remained ensconced? Other tribes have a clear presence; however, it is not clear whether that presence was political or economic necessitated by the location of Qaryat. That is the question!*

عاشت قرية ردحًا من الزمان في زوايا النسيان حتى لمستها أقدام الآثاريين من جامعة الملك سعود سنة ١٩٧٢م، بعد أن جمعوا معلومات شتى عنها وكان أشهر من نوّه عنها جون فيلبي في مقال كتبه عنها في المجلة الملكية الجغرافية، بعد أن زارها ومعه آل ريكمانز وليبينز إلى جانب ما كتبه عنها هنري فيلد ضمن بعثة شركة أرامكو لدراسة عصور ما قبل التاريخ، في المملكة العربية السعودية.

أما في العصر الإسلامي فلم يُشر إليها إلا الهمداني في جمل لا تتعدى السطرين في كتابه: صفة جزيرة العرب؛ وأشار بعض المؤرخين إلى أقوام كانوا في نجد يسمون القرويون؛ فمَن هم هؤلاء القرويون؟(الهمداني ١٩٧٧؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٧)

يحدثنا النقشان (ف ١٥ – ٨٧٠٨٦) أن آل سبي وآل بعيع وآل نتن وآل جبل، وهم شعب قرية، قد حفروا بئراً ومذقنة للمعبود عبط، وهذا يعني أن عبطاً هو أول معبود عُبد في قرية؛ ولا نعدوا الحقيقة، إذا قلنا أن مذقنته تُعَدُّ أول بناء للعبادة في المنطقة السكنية، بل في قرية كلها، وكان ذلك في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. أما قبل هذه الفترة فقد وجدنا بقايا مواقد على الأرض البكر في أحد المساكن وفي معبد شمس. فهل كان آل سبي ومَن معهم من الذين نسبوا أنفسهم إلى قرية هم أول المستوطنين؟ هذا ما تؤكده التنقيبات التي قمنا بها؛ إذ وُجدوا خلال المرحلة الأولى (أ)، أي بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وإذا فحصنا أسماء هذه الأسر فإننا لا نشمّ رائحة الأسماء الجنوبية. إذ

(ص ص ١٩-٢٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

لو كانوا من الجنوب لنسبوا أنفسهم إلى قبائل معروفة بدلاً من أن ينسبوا أنفسهم إلى قرية (الأنصاري ١٩٧٤: ٦٥ -٦٦؛ الأنصاري ١٩٧٩: ٨ -١١؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ - ١٠٠).

ولنا أن نتساءل من أين جاء هؤلاء القرويون؟ فهل أتوا مما يعرف بالجرهاء (قرية)، في شرقي الجزيرة، لكي يسيطروا على طريق التجارة بين شرقي الجزيرة العربية وجنوبيها؟دعونا نفكر في هذا الاتجاه، من دون التزام بما اعتدنا عليه من معلومات جمّدت في أذهاننا، إلى درجة أننا أصبحنا لا نقبل سواها؛ بمعنى أن نقبل أن ما يعرف بالجرهاء هو تحريف لقرية. فإذا قبلنا هذا، ولو على مضض، فسوف ننظر إلى هذا الطرح الجديد بروح ذلك العصر الذي يسمح لشرقي الجزيرة العربية بالمشاركة في تجارة الجزيرة، ولعل قرية أنموذج واضح للتعايش الاقتصادي بل السلمي في جنوبي وسط الجزيرة العربية (الأنصاري ١٩٧٤: ٦٥ -٦٦؛ الأنصاري ١٩٧٩: ٨ -١١؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ - ١٠٠).

أما المرحلة الأولى (ب) (منتصف القرن الثالث قبل الميلاد)، فنشهد فيها الزحف المعيني من جنوبي الجزيرة العربية ليشاركوا القرويين نشاطهم؛ فكان أن بنى رجل من آل مليح معبد «عثتر ود» (ف ٨ - ٢٩٩)، كما سجّل مواطن من آل مرن ما قدمه في بيت ود (ف ٨ - ٢٧١) وما قدمه (...) من آل مليح (ف ٨ - ٣٢٥) لمعبودات شتى هي: عثتر ذي قبض، وودم شهر، ونكرح شيمان، وعثتر ذي يهرق، وعثتر «بعل حدث»، وكل آلهة معين وكهل، قدم هذا المواطن نذره لكل هذه المعبودات وكهل أيضًا، وهو الذي يشار إليه للمرة الأولى في نص بقرية.

وإذا كان آل سبي ومَن عاصرهم أو جاء معهم انتسبوا إلى قرية؛ فإن المعينيين سموا قرية (بجنة بقرية طلوا)، أي (الجنة هي القرية الحمراء) بمعنى أن قرية في تلك الفترة التي نزلها المعينيون أصبحت ذات نخل وخضرة، وكأنها جنة وسط الصحراء القاحلة. وفي وسط هذه الجنان كانت قرية شامخة بقصورها ذات الطينة الحمراء، ولم يكن المعينيون وحدهم بل كان معهم آل سبي والآخرون من عُبَّاد «عبط»، إضافة إلى حلفائهم في دادان اللحيانيين. نعم كان للحيانيين وجود واضح خلال هذه المرحلة، إذ وجدنا منصبة لحيانية وشواهد قبور لحيانية.

إذاً، فنحن أمام ظاهرة جديدة في الجزيرة العربية هي السوق العربية المشتركة، يقودها المعينيون واللحيانيون؛ فكان للمعينيين السيطرة الاقتصادية في هذه الفترة على قرية طلو، وللحيانيين حق الاتجار والإسهام في الحركة الاقتصادية؛ فكذلك كان للحيان في دادان السيطرة الاقتصادية بوصفها عاصمة لملكهم، وللمعينيين حق الاتجار وإنشاء وكالات تجارية فيها.

وفي المرحلة الثانية (أ)، برز ضمن عناصر مجتمع قرية عنصر آخر هو عنصر الأحانكة، ونقصد به قبيلة حنكين أمرين، التي انتشر وجود اسمها بصيغ مختلفة بما في ذلك التفريق بين الذكر والأنثى، وتأتي أحيانًا بالجزء الأول من الاسم فقط (مجموعة من النصوص، وخاصة نص حفر البئر تغل، وف١١-٥، ونص سد بن مالك وربما غيرها).

ولعل ما يدعو للتأمل، هو: هل أمرين لها صلة بقبيلة أمير التي كانت لها اليد الطولى في المثلث جنوب غربي الربع الخالي؟ أم أن لها صلة بقبيلة مرن المعينية؟ فهل هو حلف بين حنكين وأمير، أم بين حنكين ومرن؟ لعل الرأي الأول أقرب إلى الحقيقة؛ لأن النون في أخر أمرين علامة إعراب (الأنصاري ١٩٧٤: ٦٥ -٦٦؛ الأنصاري ١٩٧٩: ٨ -١١؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ - ١٠٠).

وكان للأحانكة دور كبير بدا واضحًا في كثير من مظاهر الحياة، وخاصة عندما انتعشت الحركة الاقتصادية، وبنيت القصور الضخمة والخانات، وتحوّلت واجهات بعض المنازل إلى دكاكين للمشاركة في حركة البيع والشراء، ولا نعدوا الحقيقة إذا قلنا إن الأحانكة من جملة القبائل التي كان لها وجود في دادان في الفترة المتأخرة من دولة لحيان. ولكننا في المقابل نشاهد وجودًا لشعب عربي آخر هو شعب الأنباط الذي اثبت وجوده بما تركه من فخار نبطي يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، وبعده كما أن هناك نصوصًا نبطية كتبت بالخط المسند وبالخط النبطي إلى جانب شواهد قبور كتبت بالأسلوب النبطي (نفس وقبر). (الأنصاري ١٩٧٩: ٨ -١١؛ الأنصاري ٢٠٠٣: ٤٤-٥٤؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ - ١٠٠).

وإن كنا نشعر بأن الجالية النبطية لم تكن على مستوى

راق من المعرفة بالكتابة، إذ أنه لولا النص بالخط المسند لما استطعنا التعرف على محتوى النص النبطي الذي لا يوازي مضمونه ما جاء في نص المسند.

وفي المرحلة الثانية (ب) منتصف القرن الثاني الميلادي برزت إحدى العناصر المكونة لمجتمع قرية، وهم الغلوانيون (ف ١ – ٢٠، ف ١٤ – ٣٥ أ ب، ف ١٢ – ٣) وقد ظهروا لنا من خلال شواهد القبور ولعل أهمهم بروزًا هو عجل بن هفعم الغلواني إلى جانب ذلك الغلواني الذي دفن ناقته معه في مقبرته، ولكننا لا نعرف الكثير عنهم في قرية إلا أننا نشعر أنه ربما كانت لهم صلة بالملك معاوية بن ربيعة.

إذ إن نقش معاوية بن ربيعة (نقش معاوية) جهزه هفعم بن بران. ويثير نقش معاوية بن ربيعة (الذي يبدو أنه من عائلة يميث) ملك قحطان ومذحج كثيراً من التساؤلات؛ فنحن لم نجد قبل ذلك نصاً عن ملك حكم قرية، ولكننا نجد نصوصاً تتحدث عن ملك حضرمي، وإشارة إلى عبدي، ملك من ملوك سبأ، وإلى ملك من ملوك هامير. وحتى نقش معاوية لم يُشر إلى أنه ملك لقرية، ولكن ملك لقحطان ومذحج، ونحن لم نجد ضمن النقوش في قرية ذكراً لقحطان ولا لمذحج، فهل كان معاوية مارًا بقرية ومات فيها فدفن بها؟ ولكن بناء مقبرة وكتابة نص يبدو أن عدد أسطره كانت أكثر من مجرد ثلاثة سطور، كما أن بناء الغرفة أعلى القبر التي بنيت على النظام الشمالي (النبطي والتدمري) ونحت النصف الأعلى دون رأس لتمثال يبدو من ردائه وكأنه جزء من تمثال لملك روماني يجعلنا نعتقد أننا أمام وجود لملك يحكم قحطان ومذحج وفي قرية، وإن لم يذكر مكان حكمه فيما بقي من النص، ولكن النص كان حريصًا على أن يثبت نسبه على أنه من آل يميث وأنه من قحطان.

وإذا كان الغلوانيون قد وجدناهم يمثلون المرحلة الثانية (ب) فإن معاوية ومن والاه نحسب أنهم كانوا في المرحلة الثانية (ج)، وهي نهاية المراحل التاريخية. وهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الميلادي (الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ – ١٠٠).

إن النصوص الجنوبية التي تتحدث عن غزو وتدمير وسلب قرية تتحدث عن نظام سياسي جديد؛ إذ يتحدث النص الملكي لشعرم أوتر (نص بران ٢٠٠١) عن هزيمة لربيعة بن معاوية ذي آل ثور، ملك كندة وقحطان وقاعدته «قرية ذات كهل»، وها نحن نُفاجأ بمسمى جديد لقرية، يختلف عن المسمى المعيني. إذ ربطت بمعبودها كهل، وكان ملكها الذي يلقب نفسه بملك قحطان ومذحج، أصبح لقب ابنه «ربيعة بن معاوية ذي آل ثور ملك كندة وقحطان» فكيف جاء لقب كندة، وكيف جاءت النسبة إلى آل ثور ويأتي اسم ربيعة ذي آل ثور دون النسب إلى معاوية في (نص جام ٦٣٥) وربيعة هذا أيضًا ملك كندة وقحطان. وهذان النصان يؤرخان في الربع الأول من القرن الثالث الميلادي. إذ إن كلا النصين يتحدثان عن كندة بوصفها سابقة لقحطان فلماذا أسقط اسم مذحج؟ (الأنصاري ١٩٧٤: ٦٥ –٦٦؛ الأنصاري ١٩٧٩: ٨ –١١؛ الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ – ١٠٠).

ثم عندما نصل إلى منتصف القرن الثالث يظهر علينا (نص جام ٢١١٠) يتحدث عن «مالك بن بد» ملكًا على كندة ومذحج، وهنا يسقط اسم قحطان ويعود اسم مذحج ثم يأتي (نص جام ٥٧٦) من عهد إلشرح يحضب وأخيه يأزل بين، ملكا سبأ وذي ريدان، ليجعل مالك دون نسبته إلى بد ملكًا على كندة فقط، ويسقط اسم مذحج أيضًا لتنفرد كندة بالملك. فهل استطاعت كندة أن تسيطر على الوضع السياسي لنواجه بكندة حاكمة لقرية ذات كهل؟ (الأنصاري ٢٠٠٨: ٩٨ – ١٠٠).

إن النسابين العرب يجعلون كندة ومذحجًا شيئًا واحدًا فلِمَ لم يضموا إليها قحطان؟ ويبدو حقيقة أن كندة زحف قبلي من جنوبي الجزيرة، استطاع أن يصبح المتفرد بالحكم في قرية وما حولها خلال القرن الثالث الميلادي، ولكننا نُفاجأ بنقش امرؤ القيس المنذري يشير خلال تعداده القبائل التي مر بها إلى أنه هرب مذحج. فهل قابل امرؤ القيس مذحجًا في حدود «قرية ذات كهل» أم في منطقة أخرى بالقرب من نجران؟

على أي حال فإن التسلسل التاريخي لقرية يؤيد اضمحلالها نهائيًا في بداية القرن الرابع الميلادي.

أما كندة، فقد اضمحلَّ ملكها وصاروا أعرابًا ينضمون إلى الجيوش الزاحفة عبر جنوبي الجزيرة العربية ووسطها؛ فها

نحن نجدهم في نص مأسل (ريكمانز ٥٠٩-٥١٠)؛ فالنص ريكمانز ٥٠٩ يعود إلى القرن الخامس الميلادي أما النص ٥١٠ فيعود إلى الربع الأول من القرن السادس الميلادي. كما نجد لهم دوراً فعالاً في نص أبرهة (مريغان)، والذي يعود إلى نهاية القرن السادس الميلادي وكان منهم قوادًا وجههم في حملة. وتذكر كتب التاريخ العربية وجودًا لكندة في وسط الجزيرة العربية؛ إذ نجد شاعرًا فذًا هو امرؤ القيس الكندي وسلسلة من الملوك الكنديين؛ ولكننا لا نستطيع أن نحدد أماكن وجودها ولا حواضرها سوى الإشارة إلى غمر ذي كندة المعروف قرب الطائف، وسوى الأماكن التي جاءت في شعر الشاعر الضليل امرئ القيس، وخاصة في معلقته. كما يبدو وجودهم وعلاقتهم مع الفرس والمناذرة، وكذلك دورهم في دومة الجندل وعلاقتهم بالبيزنطيين (الأنصاري ٢٠٠٣: ٤٦-٤٨؛ الأنصاري ٢٠١٣: ١٥٣).

وعندما ظهر الإسلام كانت كندة الأكرمين ضمن الوفود التي جاءت إلى المدينة المنورة، وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم في عام الوفود، أما قحطان فلا ذكر لها في هذه الفترة قط منذ القرن الثالث الميلادي (الأنصاري ٢٠١٣: ١٥٢-١٥٣).

أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري: أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها - الرياض - المملكة العربية السعودية.

د. سالم بن أحمد طيران: قسم الآثار - كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ١٩٧٤، «كتابات من قرية الفاو»، **مجلة كلية الآداب**، المجلد الثالث، ص ص ٢٧ – ٧٠، جامعة الملك سعود.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ١٩٧٩، «أضواء جديدة على مملكة كندة من خلال آثار ونقوش قرية الفاو»، **الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الأول، ص ص ٣ – ١١، جامعة الرياض،

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ١٩٨٢ **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية** (جامعة الرياض، الرياض)

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون ٢٠٠٣، **آثار منطقة الرياض، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية**- ١، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ٢٠٠٨، «قرية الفاو مدينة المعابد»، **المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية: النشأة والتطور**، ص ص ٩٧-١٠٦، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وآخرون ٢٠١٣، **الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية**، الطبعة الثانية الهيئة العامة للسياحة والآثار، ومؤسسة التراث، الرياض.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ١٩٧٧، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.